الدلالة السياقيّة لحروف القسم في القرآن الكريم: "تفسير البحر المحيط لأبي حيّان أنموذجًا"

محمد بن عودة بن طارش الظفيري
قسم اللغة العربية/ كلية الآداب/ جامعة الإمام عبد الرحمن بن فيصل/ السعودية
2240500047@iau.edu.sa

تاريخ استلام البحث: 2025/12/29 **تاريخ قبول النشر:** 2026/1/19 **تاريخ نشر البحث:** 2026 /5/26

المستخلص:

هدف البحث إلى الكشف عن الدلالة السياقية لحروف القسم القرآنية من خلال تفسير البحر المحيط لأبي حيّان، مع تحليل أثر السياق اللغوي وغير اللغوي في الآيات التي وردت فيها هذه الحروف؛ للوصول إلى الفروق الدقيقة بينها. واتبع البحث المنهج الوصفي القائم على جمع المادة، وتصنيفها، وتحليلها، مع مناقشة اختيارات أبي حيّان على ضوء قواعد العربية وما تضمنته كتب النحو والتفسير. ومن ثم جاءت دراسة الموضوع في ثلاثة مطالب: أولها لباء القسم، وثانيها للواو، وثالثها للتاء. وقد أبرزت النتائجُ تخصيصَ كلِّ حرف بسياقات دلالية مميَّزة: فالباءُ يؤثِرُها التعبير القرآني في مواطن التوكيد الأشدّ؛ لارتباطها بأصل فعل القسم من جهة تعديته بها، ولكونها بمعنى الإلصاق، ولقوّتها الصوتية. والواوُ يغلب ورودُها حيث يُنبَّه على الترابط والتناسب بين أفراد المقسَم به وعلاقته بالمقسَم عليه؛ لما في الواو من دلالة الجمع والضمّ. أمّا التاءُ فتَرِدُ في سياقات التعجّب والاستبعاد، إذ يُستشعَر معها بُعدُ الوقوع ومقتضى التعجّب في المقام. وتستند هذه الخلاصاتُ إلى استصحاب المعنى الأصيل لكلِّ حرفٍ وصفاته الصوتية ومخرجه، مقرونةً بالقرائن اللغوية وغير اللغوية.

الكلمات الدالة: حروف القسم، الدلالة السياقية، أبو حيّان، البحر المحيط.

The Contextual Significance of the Particles of Oath in the Qur’an: A Study Based on Al-Baḥr al-Muḥīṭ by Abū Ḥayyān

Mohammed bin Awda bin Tarish Al-Dhafeeri
Department of Arabic Language/College of Arts/Imam Abdulrahman Bin Faisal University/Saudi Arabia.

Abstract:

This study aimed to explore the contextual significance of the Qur’anic oaths particles in light of Abū Ḥayyān’s exegesis Al-Baḥr al-Muḥīṭ, analyzing the impact of both linguistic and non-linguistic contexts on the verses in which these particles occur, in order to uncover the subtle semantic distinctions among them. The study adopted a descriptive approach based on collecting, classifying, and analyzing. Abū Ḥayyān’s interpretative choices are discussed in light of the principles of Arabic grammar and Qur’anic exegesis. The research was divided into three main sections: the first devoted to the particle bāʾ, the second to wāw, and the third to tāʾ. The findings reveal that each particle possesses distinctive contextual and semantic functions. The particle bāʾ predominantly occurs in contexts of emphatic assertion, due to its inherent association with the verb of oath, its meaning of adhesion, and its strong phonetic force. The wāw frequently appears where the text seeks to highlight the relationship and coherence between the object sworn by and the statement sworn to, reflecting its semantic value of conjunction and inclusion. Meanwhile, the tāʾ is typically used in contexts of astonishment and remoteness, where a sense of wonder or improbability is perceived. These conclusions rest on the original meanings and phonetic features of

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

each particle, interpreted in light of the contextual indicators, thereby revealing the precision and rhetorical miracle of the Qur'anic expression in its choice of oath particles.

Key Words: Oath Particles, contextual meaning, Abu Hayyan, Al-Bahr Al-Muhit.

1. المقدمة:

إنّ ربَّنا خالقَ كلِّ شيء منّ علينا بإنزال كلامه ووحيه إلينا بلساننا العربيّ المبين؛ لأجل أن نعقل عنه كلامه، وذلك يقتضي من المسلمين أن يروموا فهم القرآن عن طريقه، ومن أهم ما ينبغي الاعتناء به لفهمه أنْ يُنتبه للكلمات التي تشترك في المعنى إجمالًا؛ لأن هذا الاشتراك في المعنى الظاهر يخفي وراءه دقة إعجازية تُذيقك حلاوة البيان القرآني، فكتاب الله غاية في البلاغة والبيان، وإذا كان البليغ لا يحسن به أن يستعمل كلمتين مختلفتي اللفظ في المعنى نفسه دون أن يكون لإحداهما خصوصية سياقية، فكتاب الله –تعالى– من باب أولى.

وموضوع البحث في هذا السبيل، إذ تناول الدلالة السياقية لحروف القسم (الباء)، و(الواو)، و(التاء) في القرآن. وإذا كان علماؤنا السابقون قد حدّدوا لكل حرف معنًى رئيسًا، أو عدة معانٍ، فإني لم أجد من أجاب عن سؤال: لماذا يستعمل التعبير القرآني الباء للقسم في سياق معيّن، وفي سياق آخر يستعمل الواو؟ لم أجد من تناول هذا الموضوع بالبحث، وإن كانوا قد أشفوا الغليل فيما يتعلق بدلالة تاء القسم السياقية، فجزاهم الله خيرًا.

ومن التفاسير التي لها اعتناء كبير بمسائل اللغة لا سيما حروف الجر تفسيرُ أبي حيان الذي يُعد من المبرَّزين في علوم اللغة والتفسير والقراءات، فقد نثر في تفسيره نصوصًا كثيرة يستفاد منها فيما هذا البحث بصدده، كاعتنائه بدلالات حروف الجر عامة وحروف القسم خاصة في سياقها القرآني، وأثر السياق في توجيهها. لهذا آثرتُ أن يكون موضوع بحثي:(الدلالة السياقية لحروف القسم في القرآن الكريم "تفسير البحر المحيط لأبي حيان أنموذجًا").

ومما دفعني أيضًا إلى اختيار هذا الموضوع أهمية الفروق الدلالية السياقية لحروف الجر في الجملة القرآنية، لا سيما حروف القسم منها، إذ تكشف عن دقة بالغة للتعبير القرآني، وقد امتاز أبو حيان في تفسيره بجمع جهود من سبقه في هذا الشأن، ونخلها واختيار أفضلها، مع ما فتح الله –تعالى– له من آراء لم يُسبق إليها، فجلّى من دلالات حروف القسم السياقية في القرآن قدرًا كبيرًا، لا بد لمن رام بحث هذا الموضوع أن يستفيد منها؛ خدمةً للغة كتاب الله العظيم، وتجلية لجانب من جوانب إعجازه.

أما عن الدراسات السابقة فإن موضوع "الدلالة السياقية لحروف القسم في القرآن الكريم" لم يحظ بالدراسة من قبل –فيما اطلعت عليه– سواء من خلال تفسير أبي حيان أو غيره من التفاسير. حتى الدراسات التي تناولت حروف الجر على العموم في كتب التفسير لم تقترب من فكرة البحث الحالي، ولم تتطرق إلى الإجابة عن سؤاله المطروح آنفًا.

وقد هدف البحث إلى الكشف عن الدلالة السياقية لحروف القسم (الباء)، و(الواو)، و(التاء) التي وقف عليها أبو حيان في تفسيره للنص القرآني، مع تحليل أثر السياق في توجيهاته لكل حرف منها. وتمثّلتْ مادة الدراسة في تفسير البحر المحيط لأبي حيان، الذي نُشر بطبعات كثيرة، وقع الاختيار منها على طبعة مركز هجر للبحوث

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

والدراسات العربية والإسلامية، القاهرة، 2015، بتحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز هجر. وقد جاءت في سبعة وعشرين مجلداً، واخترتها لأنها الأحدث والأجود، إذ تميزت عن غيرها بنُسخ المخطوطات التي اعتمدت عليها في تحقيق الكتاب، فأخرجت النص على أصحّ ما يمكن، مع اهتمامها بالتنسيق، وضبط الشواهد، وشرح الغريب، وتوضيح ما يلزم بما يستدعيه المقام، وترجمة العلماء المذكورين في التفسير، وتخريج الشعر، والقراءات، والأحاديث، والآثار، وتخريج أقوال النحاة واللغويين.

واتبع البحث المنهج الوصفي، وذلك من خلال رصد وقفات أبي حيان على حروف القسم في تفسيره لآيات القرآن الكريم، وجمعِ ما فيها من توجيهات وآراء، ثم تصنيفها، وتحليلها في ضوء سياقاتها؛ للوصول إلى تحقيق أهداف الدراسة، والخروج منها بالنتائج المرجوة. وبناءً على هذا اقتضتْ طبيعة الموضوع أن يكون في: مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مطالب، وخاتمة.

أما المقدمة فكشفتْ عن موضوع البحث: أهميته، وأسباب اختياره، وأهدافه، ودراساته السابقة، ومادته، ومنهجه، وخطته، وأما التمهيد فعُني بتعريف الدلالة السياقية وأهميتها، وأما المطالب الثلاثة فكان أولها عن الدلالة السياقية لباء القسم، وثانيها للواو، وثالثها للتاء. ثم جاءت الخاتمة فيها نتائج البحث، ثم قائمة المصادر والمراجع.

2. التمهيد:

2. 1. الدلالة السياقية: تنقسم الدلالات أربعة أقسام [1:ص20–22]:

- دلالة معجمية: تُكتسَب من المادة اللغوية للكلمة أو حروفها الأصول.
- ودلالة صرفية: تُكتسَب من بنية الكلمة، وتتغير بتغير بنائها، كاسم الفاعل، واسم المفعول، واسم المكان أو الزمان، واسم الآلة.
- ودلالة نحوية: تُكتسَب من التركيب النحوي: كالفاعلية، والمفعولية، والحالية، والنعتية، والابتداء، والإخبار.
- ودلالة سياقية، تُكتسَب من سياق الكلام، سواء اللغوي أو غير اللغوي.

وهنا يحسن الوقوف أمام مصطلح (الدلالة السياقية) بطرفيه المكوّنين له في اللغة والاصطلاح، فهو موضوع البحث، وعليه يُبنى.

2. 1. 1. الدلالة والسياق لغة:

الدلالة لغةً: ذكر ابن فارس أن (الدال واللام): أصلان الأول راجع إلى الإبانة عن الشيء بأمارة تُتعلم، والآخر راجع للاضطراب، ثم ذكر أن الدليل معناه الأمارة في الشيء [2:ج3،ص259]، وقال الراغب: "الدّلالة: ما يُتوصل به إلى معرفة الشيء، كدلالة الألفاظ على المعنى، ودلالة الإشارات،والرموز،والكتابة ..."[3:ص316–317].

تَحَصَّلَ من ذلك أن المعنى الذي يدور عليه اللفظ هو الإبانة عن طريقِ أمارات، وأن الدليل هو الدالّ أو العلامة التي يُستدل بها، والدلالة مصدر، وهي فعل الدال، أو هيئة في الدليل تُوصلاً للمدلول، فهناك دال هو الفاعل، ومدلول إليه ودلالة، فالدلالة هي ما تُوْصِل إلى المدلول.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

ويلاحظ أن توضيحاتهم تدور على تعريف الدلالة كونها مصدراً يراد به فعل الدلالة، وليس مصدراً يراد به المفعول؛ إذ المصدر قد يراد به الفعل تارة، وقد يراد به المفعول[4:ج5،ص199]. وتبيين معنى المصادر باعتبارها تدل على الحدث هو الأصل، ولكن المراد في عنوان الدراسة هو الدلالة باعتبارها مفعولًا، فالمقصود هو المدلول، وهو الناتج من عملية الدلالة، ومن ثم فعنوان (الدلالات السياقية) يُعنى بالمدلولات الناتجة عن السياق، وليس الغرض منه دراسة فعل دلالة حروف القسم، أي: الطرق التي تدل بها حروف القسم على المعنى.

السياق لغةً: التتابع، كما تقول العرب: تساوقت الإبل أي تتابعت[5:ج9،ص184]، وذكر ابن فارس أن (السين والواو والقاف) يدور معناها على حدو الشيء، وأن ساق الإنسان سميت بذلك لكون السائر ينساق عليها[2:ج3،ص117]. وذكر محمد حسن جبل أن المعنى المحوري لجذر (س و ق) هو الدفع للأمام بقوة، أو الدفع إلى فوق بقوة، فسَوْقُ الإبلِ حثُّها بقوة على السير للأمام، والسُّوق مكان يساق إليه البضائع، وأما ساقُ الإنسان فلكونها تدفع للإمام، وساق الشجر تدفع لأعلى للنمو[6:ج2،ص1032].

الخلاصة: أن معنى السياق في اللغة يدور على الشيء الذي يُحرِّك غيرَه بقوة ويسير معه، فهو كما قالوا فيه دفع وتتابع، ويترتب عليه أثر بلا ريب.

2. 1. 2. الدلالة والسياق اصطلاحًا:

الدلالة اصطلاحًا: عرّفها الجرجاني بأنها: "كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، والشيء الأول هو الدال، والثاني هو المدلول"[7:ص104]. وحكى التهانوي اتفاق أهل العربية، والأصوليين، والمناطقة على هذا التعريف[8:ج١،ص٧٨٧].

السياق اصطلاحًا: يراد بمصطلح السياق في علم اللغة الحديث "المحيط اللغوي الذي تقع فيه الوحدة اللغوية، سواء أكانت كلمة أو جملة، في إطار من العناصر اللغوية أو غير اللغوية"[9:ص40]. أما السياق القرآني فقد عرّفه الدكتور سعيد الشهراني بأنه "ما يحيط بالنص من عوامل داخلية أو خارجية لها أثر في فهمه، من سابق أو لاحق به، أو حال من حال المخاطِب والمخاطَب، والغرض الذي سيق له، والجو الذي نزل فيه"[10: ج1،ص27]. وهو تعريف ازداد دقة ووضوحاً عن سابقه، إذ بين أنه ليس كل محيط الكلمة معتبراً، وإنما الذي يُعتدُّ به ما كان مؤثراً في فهم النص، هذا مع تفصيله لعناصر السياق. وقد اجتمع التعريفان في التنبيه على شمول السياق للعوامل الداخلية اللغوية، والخارجية غير اللغوية.

من ثمّ تجلى أن معنى (الدلالة السياقية) اصطلاحاً متفرع عن معنى الكلمتين لغة، وعرّف العطار ما سماه السياق – ويظهر من تعريفه أنه يريد دلالة السياق – حيث قال: "ما سيق الكلام من أجله" [11:ج1،ص320]؛ لأن الكلام لا يُساق للسياق، وإنما لدلالة السياق، وقال في موضع آخر عن قرينة السياق: "هي ما يؤخذ من لاحق الكلام الدال على خصوص المقصود أو سابقه" [11:ج1،ص30]، وملاحَظٌ هنا أن التعريف يُقصد به السياق اللغوي، وهذا ما يتبادر إلى الذهن عندما تُطلَق هذه الكلمة، أما السياق الخارجي غير اللغوي فيطلقون عليه قرائنَ الأحوال، والمقام، والحال.

هكذا يظهر مما سبق أن هناك علاقة واضحة بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي؛ وذلك أن المعنى اللغوي العام للسياق يدور على دفع الشيء باتجاه معينٍ مرادٍ، وتتابعه على ذلك، وأما الاصطلاحي فهو دفع وتتابع

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

من نوع خاص، فكأن السياق يدفع المخاطب دفعاً متتابعاً بمجموعة من العوامل اللغوية الداخلية وغير اللغوية الخارجية، ويسوقه سوقًا باتجاه معين، وهو اتجاهُ مرادِ المتكلم.

من ثَمَّ يمكن تعريف دلالة السياق القرآني: بأنها الغرض والمعنى والمدلول الذي يسوقك له الكلام بعناصره اللغوية وغير اللغوية. وقد سبقت الإشارة آنفًا إلى أنه ليس المقصود (بالدلالات السياقية لحروف القسم) فعل الدلالة وعملية الدلالة التي تقوم بها حروف القسم – رغم أن هذا متناولٌ في الدراسة ضمنًا – وإنما المقصود الأساسي هو مدلولات حروف القسم التي يوصل إليها تساوق عناصر السياق القرآني الذي وردت فيه وأحاط بها.

2. 2. أهمية السياق في تحصيل الفهم:

إن السياق هو الدليل والمرشد الأقوى في الفهم الصحيح للكلمات، فمحاولة فهم الكلمة دون الالتفات لسابقها ولاحقها، ومقصود قائلها، وحاله، وسبب قولها، ودلالتها العرفية، بل حتى طريقة نطقها، فتلك مظنة قوية لسوء الفهم؛ لأن قرائن السياق كعلامات الطريق، من لا يعتبرها في فهم كلام المتكلم حاله كحال الذي يسير دون الاستدلال بعلامات الطريق، فكلاهما يغلب عليه التيه، وكم من كلمة معناها المعجمي مدح، ومعناها السياقي سخرية وذم، وكم من كلمة تكون مدحاً عند أدائها على هيئة معينة، وتكون عكس ذلك في أداء صوتي آخر، وكم من كلمة تحتمل عدة معاني في أصلها، وتكون نصًّا على أحد المعاني في سياق معين.

من هنا كان للسياق دور مهم وضحه ابن القيم في قوله: "السياق يرشدُ إلى تبيين المجمل، وتعيين المحتمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام، وتقييد المطلق، وتنوع الدلالة، وهو من أعظم القرائن الدالَّة على مراد المتكلم، فمن أهمله غلط في نظره، وغالط في مناظرته. فانظر إلى قوله تعالى: ﴿ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ ٤٩﴾ [الدخان: 49]، كيف تجدُ سياقَه يدُلُّ على أنه الذليل الحقير" [12:ج4،ص1314].

وقال الشاطبي: "فلا محيص للمتفهِّم عن رد آخر الكلام على أوله، وأوله على آخره، وإذ ذاك يحصل مقصود الشارع في فهم المكلَّف، فإنْ فرَّق النظر في أجزائه فلا يتوصَّل به إلى مراده، فلا يصح الاقتصار في النظر على بعض أجزاء الكلام دون بعض" [13:ج4،ص266]. قال الزركشي: "ليكُنْ مَحَطُّ نظرِ المفسِّر مراعاة نظْم الكلام الذي سيق له، وإنْ خالف أصل الوضع اللغويِ؛ لثبوت التجوُّز"[14:ج1،ص317].

3. الدراسة:

ذكر النحاة أنه مما يدل على القسم (الباء)، و(الواو)، و(التاء)، وذكروا أن لحروف القسم فروقًا من جهة مجرورها، فالباء تجر الظاهر والمضمر، والواو تجر الظاهر دون المضمر [15:ج4،ص385]، والتاء تجر اسماً واحداً وهو اسم الله، وقيل تجر الرحمن ورب الكعبة [15:ص211–212]. أما من الجهة المعنوية فجعلوا للتاء مصاحبةً لمعنى التعجب، أما الواو فلم أجد من ذكر اختصاصها بمعنى كالتاء.

ومما ذكره النحاة في حروف القسم مسألةُ كونِ الباء أصلَ باب القسم، والواو بدل منها، والتاء بدل من الواو. والجمهور على هذا، ولكن ذهب عدد من النحاة منهم أبو حيان[4:ج19،ص103] إلى أن كل حرف هو أصل بذاته، وليس فرعًا أو بدلًا من غيره. والراجح مذهب الجمهور، ووجه ذلك أن الأصل في القسم الفعل (أقسم– حلف)، وهما فعلان لازمان لا يتعديان لمفعولهما إلا بالباء؛ لكون معنى الإلصاق فيه مناسباً لمعنى الفعل

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

من إلصاق القسم بالمعظّم، وهذا المعنى –أي التعدية– لا يؤديه الواو أو التاء، فلذلك لا يظهر معهما الفعل، ويظهر مع الباء، وذلك يدل على رسوخ الباء في القسم، وأنها أم الباب.

فالعرب تجعل للباب أمًّا وتعطيه من التصرف ما يدل على رسوخه وأصالته في الباب، وتُلْحِقُ به ما يشبهه من الأدوات، ولا تعطي الشبيه من التصرف ما تعطي أم الباب، بل تضع عليه قيوداً وشروطاً تدل على فرعيته[16:ج1،ص313-316]، كالحال في الأفعال الناسخة والحروف الناسخة، فالأفعال لها من التصرف في تقديم الخبر وتأخيره بما ليس للحروف النواسخ [17:ج1،ص256]. ولما أشبهت لا النافية للجنس الحروف الناسخة التي هي فرع عن الأفعال الناسخة، ضاق تصرفها أكثر وزيدت عليها القيود إشارةً إلى كونها فرعًا عن فرع، فالعرب تعطي الشيء إذا شابه الشيء حكمه [16:ج1،ص257-262]، وتُنْزِله عنه درجة؛ ليتميز الأصيل عن الفرع.

وهكذا الحال في باب القسم؛ إذ أصل الباب الباء؛ لما سبق من أسباب، ولكون عمل هذه الحروف في باب القسم هو الجر، وعمل الجر طارئ عليها لأجل القسم بخلاف الباء؛ مما يدل على أن هذين الحرفين دخلا ميدان الجر من باب الباء وشفاعتها لهما، لا سيما أن مخرج الباء والواو متفق ومعانيهما متقاربة، مما يدل على المصاهرة. ونحو هذا حاصل بين (ليس)، و(ما) و(لا)، و(لات)، إذ (ليس) أوسعها تصرفًا، ثم (ما) و(لا)؛ لأنهما فرع عنها، فقُيِّدتا بقيود، وزادت الشروط والقيود في (لات)؛ لكونها فرعًا عن (ما) المتفرعة عن (ليس)، فاختصت بـــالزمان؛ لأنها فرع عن فرع [16:ج1،ص314-315].

فلما رأى العلماء أن الباء أوسع حروف القسم تصرفًا، وأنها تعمل دون شروط، مما يدل على رسوخها وأصليتها، والواو عليها قيود مع ما فيها من قرب من معنى الباء، إذ يدل كل منهما على الاجتماع، ومخارجهما متحدة، فكلاهما شفوي عند القدماء، عُلِمَ أن الواو فرع عن الباء، وتأكدت فيها الفرعية بما عليها من قيود. وكذلك الحال في التاء قيودها أكثر فدلت على أنها فرع الفرع. وأما سبب إلحاقها بالواو فقرب المخرج، وكثرة إبدالها عنها في العربية، نحو: تخمة أصلها وخمة، وتُجاه أصله وجاه، وتراث أصله وراث. وبعد هذه التهيئة نشرع في المقصود.

3. 1. المطلب الأول: باء القسم

قال أبو حيان في قول الله تعالى: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ [الأعراف: 16]: "الظاهرُ أَنَّ الباءَ للقسمِ، و(ما) مصدرية؛ ولذلك تُلُقِّيَت الآية بقوله: (لَأَقۡعُدَنَّ)" [4:ج12،ص457]. فقد جعل الباء للقسم، و(ما) مصدرية، وعلى هذا يكون المعنى: أُقسمُ بإغوائك لي. ويظهر أن النص القرآني استجلب الباء لما فيها من معنى الإلصاق، فألصق وعدّى فعل القسم المحذوف بالمقسَم به؛ ليؤدي معنًى توكيدياً يُضفيه على الكلام.

ولعل التعبير القرآني آثر الباء على الواو رغم اشتراكهما في إفادة التوكيد؛ لما في الباء من قوة توكيدية أعلى من الواو، هذه القوة التوكيدية تَحَصَّلَتْ له من جهة:

- o أنها أصل أدوات القسم، ووجه ذلك أن أصل القسم الفعل (أُقْسِمُ أو أَحْلِفُ)، وهو فعل لازمٌ يحتاج إلى حرف تعدية يوصله للمقسم به، وأنسب أحرف التعدية له الباء؛ لإفادته معنى الإلصاق، فحاله كحال (مر به). ثم إن

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

باقي حروف القسم الواو والتاء لا يصلح أي منهما لتعدية الفعل، فدل ذلك على أن الباء هي الأصل، والأصل أقوى من الفرع، والفرع لا بد أن ينحط عن رتبة الأصل [18:ج3،ص1851، 1853].

- o أنها الأداة الوحيدة بين أدوات القسم التي يظهر معها فعل القسم، وما يظهر معه الفعل الدال على القسم أقوى مما لا يظهر معه، بل لا يكاد يُقسَم بالباء في القرآن إلا مذكوراً معه فعل القسم مقترناً بـــ(لا) زائدة لتقويته، وذلك في ثمانية مواضع. وما يكادُ يخصه القرآنُ بهذا الحشد التوكيدي أقوى مما يكون أكثرُ استعمالاتِ القرآن له دون ذلك.
- o أن وظيفةَ القَسَمِ تتمثّل في القرن بين المقسم عليه وشدةِ توكيدِ مكانةِ المقسم به؛ ليتحصل من ذلك توكيدٌ للمقسم عليه. قال العكبري: "وأما المقسم به فهو كل أمر عظيم عند المتكلم؛ لأن الغرض من القَسَم الحَمْلُ على الفعل والترك، ولا يلتزم المقسمُ ذلك إلا بعظيم عنده"[18:ج3،ص1850]. وذكر ابن عثيمين في فائدة القسم: "أنه يفيد التوكيد بذكرِ معظمٍ، كأن المقسِم يقول: إنني أؤكد هذا، كما أؤكد عظمة المحلوف به"[19:ص9]؛ فلذلك كان أنسبُ الحروفِ لإيصالِ هذا المعنى الباءَ التي تفيد الإلصاق، والواوَ التي تفيد الجمع. قال ابن جني في سياق حديثه عن سبب نيابة الواو عن الباء في القسم، وبعد ذكره للتشابه اللفظي بين الباء والواو بأن مخرجهما واحد من الشفة، ذكر التشابه المعنوي، فقال: "وأما المعنى فلأن الباء للإلصاق، والواو للاجتماع، والشيء إذا لاصق الشيء فقد اجتمع معه"[20:ج1،ص154]، وذكر نحو ذلك العكبري[18:ج3،ص1853] و[21:ج١، ص١٧٤]، والسيوطي [22:ج2،ص480]. وبما أن الإلصاق جمعٌ وزيادة، فكل إلصاق جمع، وليس كل جمعٍ إلصاقًا، من ثم تكون الباء أقوى توكيدًا من الواو؛ لأنها أقوى جمعًا بين المعظّم والمراد تعظيمه.
- o أن الباء والواو وإن اشتركا بأن كليهما صوتٌ مجهور فإن الباء صوت شديد؛ لكون الهواء ينحبس انحباساً تاماً عند مخرجه. قال السيوطي: "إذ في الواو لين، وفي الباء شدة" [22:ج2،ص480]. وهو كذلك حرف قلقلة، وهذه الصفات تعطي الباء قوةً ليستْ في الواو، والعربية تعطي المعنى الأقوى للصوت الأقوى[23:ج 2، ص157–165]. فتحصّل أن الباء أقوى من الواو صوتًا، ودلالةً، وعملًا، مع كونها الأصل، والواو أُبدِلتْ منها؛ لإرادة توسيع باب القسم [18:ج3،ص1853]، فهذا يُشعر أنها أقوى توكيداً.

وإذا عدنا إلى قول الله تعالى: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ فإن سياقه يدل على أن الشيطان الرجيم في أقصى مراحل الحنق والحسد لآدم؛ فهو طلب أن يكون من المنظَرين ليحتنكنَّ ذريته، وأنه سيأتيهم من كل طريق من بين أيديهم، ومن خلفهم، وعن أيمانهم وشمائلهم. فمثل هذا الحقد والحسد لا يُعبَّر عنه، ولا يصلح معه إلا أقوى ما يكون من توكيد؛ لذلك استعمل التعبير القرآني الباء هنا، وكذلك في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ٧٩ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ٨٠ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ٨١ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ٨٢﴾ [ص: 79–82]، ولا يأبى التركيب النحوي أن يقال: (وعزتك)، فلعل إيثار الباء راجع لقوة توكيدها المناسب لقوة حنق الشيطان وحرصه على إغواء بني آدم.

وفي تفسير قول الله تعالى: ﴿فَأَلۡقَوۡاْ حِبَالَهُمۡ وَعِصِيَّهُمۡ وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرۡعَوۡنَ إِنَّا لَنَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبُونَ٤٤﴾ [الشعراء: 44] قال أبو حيان: "الظاهرُ أنّ الباءَ للقسم" [4:ج20،ص177]. فذكر كذلك هنا أن الباء للقسم، في إشارة إلى أن السحرة قد بالغوا في تأكيد الكلام، كأنهم قالوا (نقسم بعزة فرعون)، ولعلهم استعملوا الباء بدل الواو، لكونها أشدَّ

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

توكيداً، ويؤيد هذا سياقُ الحال؛ حيث إنه كان مشهداً عظيماً وحضوره كبير، وفرعون أحرص ما يكون على الانتصار فيه، وقد وعدهم الوعود والتقريب.

ويؤيده كذلك السياق اللغوي فقد استعملوا أشد ما يكون من توكيد، بل استنفدوا كل توكيدات اللغة في كلامهم: (إنّ)، واللام، وجعلوها جملة اسمية وهي أوكد، وكرروا ضمير المتكلمين، وأدخلوا (أل) على الخبر، وذلك يدل على الحصر، فكان بإمكانهم قول: (بعزة فرعون سنغلب أو نحن غالبون أو إنّا غالبون)، أما هذا المستوى العالي من حشد التوكيدات اللغوية، فلا يناسبه إلا أقوى حروف القسم، وهذا ما فعلوه، وما جاء به التعبير القرآني على لسانهم بإيثار الباء في جملة ﴿بِعِزَّةِ فِرۡعَوۡنَ﴾ على الواو في جملة (وعزة فرعون).

3. 2. المطلب الثاني: واو القسم

قال أبو حيان: "وجاء القسمُ بقولِه: ﴿وَرَبِّي﴾" [4:ج21،ص372]. فصرّح بأن الواو هنا واو القسم. ودلالة القسم السياقية –كما هو معلوم– التوكيد الشديد للمقسم عليه، وقد بحثتُ طويلًا عما تختص به الواو من معنى زائدٍ عن باقي الحروف اقتضى إيثار النص القرآني لها، فما وجدتُ من تكلم عن هذا، كما تُحُدِّثَ عن القسم بالتاء، لا سيما أن القسم بالواو أكثر وروداً في القرآن، فلا بد أن يكون لذلك سبب راجع إلى دلالتها، كما هو الحال في سياقات القسم بالتاء. وهناك تعليل قد يكون تفسيراً لذلك، وهذا التعليل مبنيٌّ على أمرين:

الأول: يعود إلى دلالة الواو في نفسها، من جهة كون العرب تستعملها في الدلالة على الجمع، كضمير واو الجماعة، ونحو إتيانهم بها حرفًا يدل على الجمع والرفع في المذكر السالم، وكما هو الحال في واو العطف؛ إذ فيها معنى الجمع في الحكم، وواو المعية، وواو الحال تدل كذلك على الجمع، بل كذلك واو الاستئناف تفيد الجمع، فكل هذا يدل على استحكام الواو ورسوخها في الدلالة على الجمع [24:ص150–156].

وهذه الدلالة ليست محصورة في الواو، بل كل الحروف التي مخرجها الشفة دلالتها الأصيلة الجمع؛ وذلك محاكاة لحركة الشفتين عند النطق بها؛ حيث إنهما تجتمعان وتنضمان إلى بعضهما، فمِن هنا كانت الحروف التي مخرجها من الشفتين تدل على الجمع بتباين بينها في ذلك؛ فالباء فيها جمع والتصاق؛ لأن الشفتين تنطبقان فتحبسان الهواء انحباساً تاماً في نطقها، والميم تدل على الجمع كذلك، كالحال عند دخولها على ضمير تاء الفاعل، وهاء الغائب، وكاف المخاطب، فتدل على الجمع، نحو: (أكرمتُ خالدًا –أكرمتم خالدًا،وأكرمته –أكرمتهم، وأكرمتك –أكرمتكم)، وكذلك في (أنت –أنتم،وإياه –إياهم، وإياك– إياكم)، وعند دخولها على اسم الله في (اللهم)، قيل تكون للدعاء بجميع أسمائه الحسنى، ذُكر ذلك عن السلف [25:ج2،ص256–257]، وعلى الرغم من ذلك فإن دلالة الجمع في الميم دون دلالة الجمع في الباء؛ لأن في الباء التصاقاً، وهي أقوى صوتًا، أما الميم وإن كانت الشفتان تنطبق عند نطقها فتحبس الهواء؛ مما يعطي هذا الصوت قوة، فإنه يبقى صوتًا أنفيًا حيث يساعد الأنف في النطق به، مما يجعل الميم أخف قوة من الباء. وأما الواو فأقل هذه الأصوات قوة؛ لكون الهواء لا ينحبس عند مخرجه، والشفتان لا تنطبقان عند نطقه، فكانت دلالته مطلق الجمع.

الثاني: يعود إلى طبيعة أقسام القرآن من قِبَل أنّ فيها اجتماعًا وتناسبًا وتلاؤمًا بين الأقسام المتعددة من جهة –فالسورة التي بها قَسَم بعِدّةِ أشياء يكون بينها تناسبًا واجتماعًا في المعنى– والجهة الأخرى بَيْنَ المقسم به والمقسم عليه، حيث يلاحظ أن هناك ترابطًا وثيقًا بين المقسم به وجوابه المقسم عليه، ولتوضيح ذلك أضرب الأمثلة الآتية،

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

فما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، وغرضي تجلية الترابط الوثيق بين أفراد المقسم به من جهة، وبين المقسم به والمقسم عليه من جهة، من ثم يظهر للقارئ مناسبة واو القسم لسياقها، وسبب استدعاء التعبير القرآني لها، وسبب كونها أكثر حروف القسم ورودًا.

* سورة (التين والزيتون) ابتدأَتْ بالقسم بثلاثة أمور، وهذه الأمور بينها ترابط، من قِبَلِ اجتماعها في دلالتها على الأماكن التي ابتدأ فيها وحيُ الله – تعالى– لثلاثة أنبياء من أولي العزم: أما القَسَم (بالتين والزيتون) فهو قَسَم بمكانها وهو فلسطين، وفيها ابتُدِئ الوحي لعيسى –عليه السلام –النبي الأعظم عند النصارى. وأما القسم بـــ(طور سينين) فهو المكان الذي ابتدئ فيه الوحي لموسى –عليه السلام– النبي الأعظم عند اليهود. وأما القسم بـــ(البلد الأمين) ففيه ابتدئ الوحي لسيد العالمين محمد – صلى الله عليه وسلم– من ثَمَّ كانت هذه الأشياء المقسمُ بها تجتمع في كونها تدل على أماكن ابتداء الوحي.

وأما وجه ارتباط المقسم به بالمقسم عليه، ووجه اجتماعهما، فمن جهة أن الله – تعالى – جمع بين المدلول ودليله، وقرن بين المتلازمين بين الخلق وإرسال الرسل، وبين إكمال البدن وإكمال الروح، وبين إكمال الخَلقِ وإكمال الخُلُق، وبين رُكْنَي الربوبية الحقَّة: الإيجاد والتربية. وهذان المتلازمان كثيرًا جدًّا ما يَقرن بينهما اللهُ – تعالى – في القرآن، ويستدل بالخلق على أنه – لا بد – مُرسِلٌ رسولًا، فكأنه بعد أن أقسم بكونه أوحى وأنزل رسلًا، ناسب أن يكون المقسم عليه الدليل العقلي المقتضي للتصديق بأن الله – تعالى – لا بد أن يرسل رسلًا، فمن خلقك في أحسن تقويم، وأكمل بدنك، أيترك روحك دون إكمالها؟ أفمن يعتني بخَلقِك هذا الاعتناء يتركك دون إكمال أخلاقك؟ فكما أنّ من لازم الإنجابِ التربيةَ، فمن لوازم إتقان الخلق أن يرسل رسلًا، ولا يترك خلقه هملًا، وهو الملك الحق رب العالمين. وبذلك يتضح – إن شاء الله – وجه الترابط الشديد بين الأشياء المقسم بها في أنفسها من جهة، وبين المقسم به والمقسم عليه من جهة.

* وفي قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَاءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ١١ وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ ١٢ إِنَّهُۥ لَقَوۡل فَصۡل١٣﴾ [الطارق: 11-13]، بَيَّنَ ابن عثيمين التناسب بَيْنَ القَسَمَين من جهة، وبين والمقسم به والمقسم عليه من جهة، حين قال: "وفي القَسَم الثاني الإشارةُ إلى أنَّ القرآن حياةٌ؛ لأنه قال: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾ الرَّجع هو المطر، يُسمَّى رجْعًا؛ لأنه يرجع ويتكرَّر، ومعلومٌ أنَّ المطر به حياة الأرض، ﴿وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾ الصَّدع هو الانشقاق؛ يعني التشقُّق لخروج النبات منها، فأقسمَ بالمطر الذي هو سببُ خروج النبات، وبالتشقُّق الذي يخرج منه النبات، وكلُّه إشارةٌ إلى حياة الأرض بعد موتها، والقرآن به حياة القلوب بعد موتها كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ﴾[الشورى ٥٢]، فسَمَّى الله القرآنَ روحًا لأنَّه تحيا به القلوب" [16: ص151].

وأيضًا هنا جمع بين الدليل ومدلوله، أفيليق بمن هيَّأ أسباب حياة الأبدان على صورة تدل على اعتنائه بخلقه إيجادًا وإمدادًا، إلا أن ينزل عليهم قرآنًا قولًا فصلًا؟ يفصل به بين الحق والباطل، والنافع والضار، والمسلمين والمجرمين. كأنّ الجملة القَسَمِيَّة جمعتْ بين ركني الربوبية الكاملة: الخلق والهداية كما أشار لذلك إبراهيم – صلى الله عليه وسلم –﴿ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ٧٨﴾ [الشعراء: 78]، فقد ربَط بين الهداية والخلق، ورتبهما على بعضهما بالفاء.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

* وكذلك هذا واضح في سورة الضحى، إذ العلاقة ظاهرة بين أفراد المقسم به؛ حيث إنه قد بدأ بذكر آياته ونعمه السماوية ثم الأرضية، ثم أقسم بالنفس وإلهامه لها فجورها وتقواها، والجامع لما سبق أن آيات ربوبية الله – تعالى – واعتنائه بخلقه محيطة بالإنسان في سمائه وأرضه وفي نفسه، والمتأمل بها يجدها مناسبة غاية المناسبة لاحتياجات الإنسان الضرورية، فيُعلم أن خالقها خَلَقَها لتلبية احتياجاتنا، مما يدل على أنه بالإنسان رحيم. ثم أقسم بذلك على جزاء من زكّى نفسه وجزاء من دساها، وظاهرٌ هنا التلاؤم بين المقسم به والمقسم عليه والتضام والتلازم بينهما، فمن يعتني بك هذا الاعتناء لا بد أن يرسل لك رسولًا يزكيك، ويعلمك، وبعد ذلك فالناس بين مطيع له، وعاص دس نفسه بشهواتها، فلا بد بعد ذلك أن يعاقب المجرم العاصي، وهذا غاية الخيبة، ولا بد أن يثيب الطائع، وهذا غاية الفلاح، يقول تعالى: ﴿أَفَنَجعَلُ ٱلمُسلِمِينَ كَٱلمُجرِمِينَ٣٥ مَا لَكُم كَيفَ تَحكُمُونَ٣٦﴾ [القلم: 35-36]، ﴿وَمَا خَلَقنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلأَرضَ وَمَا بَينَهُمَا لَٰعِبِينَ ٣٨ مَا خَلَقنَٰهُمَا إِلَّا بِٱلحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكثَرَهُم لَا يَعلَمُونَ ٣٩ إِنَّ يَومَ ٱلفَصلِ مِيقَٰتُهُم أَجمَعِينَ٤٠﴾ [الدخان: 38-40]، فمجموع هذه الآيات يدل على الجزاء، وأن الله – تعالى – لم يخلقهما لاعباً أو عابثًا – سبحانه – بل خلقهما للحق، وخَلْقُهما بهذه الهيئة يدل على الجزاء، كما استدل في سورة المرسلات على يوم الفصل، وتوعد المكذبين به، وأنكر عليهم تكذيبهم لوضوح البراهين على يوم الفصل، فقال تعالى: ﴿وَيل يَومَئِذ لِّلمُكَذِّبِينَ ١٩ أَلَم نَخلُقكُّم مِّن مَّاء مَّهِين٢٠ فَجَعَلنَٰهُ فِي قَرَار مَّكِينٍ٢١ إِلَىٰ قَدَر مَّعلُوم٢٢ فَقَدَرنَا فَنِعمَ ٱلقَٰدِرُونَ٢٣ وَيل يَومَئِذ لِّلمُكَذِّبِينَ ٢٤ أَلَم نَجعَلِ ٱلأَرضَ كِفَاتًا٢٥ أَحيَاء وَأَموَٰتا٢٦ وَجَعَلنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ شَٰمِخَٰت وَأَسقَينَٰكُم مَّاء فُرَاتا٢٧ وَيل يَومَئِذ لِّلمُكَذِّبِينَ ٢٨﴾[المرسلات: 19-28]، وأشار في آخرها إلى أن هذا الدليل يلزم مدلوله بقوة، وأن الاستدلال بذلك على يوم الفصل بغاية الوضوح للعقل، ولا أوضح منه تلازمًا، إذ قال: ﴿وَيل يَومَئِذ لِّلمُكَذِّبِينَ٤٩ فَبِأَيِّ حَدِيثِ بَعدَهُۥ يُؤمِنُونَ٥٠﴾ [المرسلات: 49-50]، والخلاصة أن المقسم به مترابط متناسب في أفراده، وبينه وبين المقسم عليه ترابط، ترابط بين متلازمين، بين دليل ومدلوله.

* وعلى مستوى المقسَم به المفرد لا يخلو كذلك من ترابط بين المقسَم به، والمقسَم عليه، وضّح ذلك السعدي في قوله تعالى: ﴿وَٱلقُرءَانِ ٱلحَكِيمِ٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلمُرسَلِينَ٣﴾ [يس: 2-3]، إذ قال: "ولا يخفى ما بين المقسم به، وهو القرآن الحكيم، وبين المقسم عليه، وهو رسالة الرسول محمد – صلى الله عليه وسلم – من الاتصال، وأنه لو لم يكن لرسالته دليل ولا شاهد إلا هذا القرآن الحكيم لكفى به دليلًا وشاهداً على رسالة محمد صلى الله عليه وسلم. بل القرآن العظيم أقوى الأدلة المتصلة المستمرة على رسالة الرسول، فأدلة القرآن كلها أدلة لرسالة محمد صلى الله عليه وسلم" [27:ص692]، فقد احتوى القرآن على أبين الكلام، وأبلغه، وأصدق الأخبار المطابقة للواقع، وأحكم الأحكام، وأبين الحجج العقلية، وأوضح البراهين، وأنفع الأخلاق وأعلاها، وفيه الحل لكل المشاكل، وما قرأه أحد طالباً للحق إلا وجد فيه بغيته، فاجتمع فيه من المحاسن والكمالات ما يقطع المتدبر فيه أنه كلام رب العالمين، ولا يستطيعه أحدٌ من الخلائق، فكان وجه الترابط بين المقسم به والمقسم عليه، أنه جمع بين الدليل ومدلوله، وهما متلازمان مجتمعان لا يفترقان، فإن أتى الدليل أتى معه المدلول.

بناءً على ما ذُكِرَ يلاحظ أن هناك تناسباً بين استعمال الواو التي يستعملها العرب في موارد الجمع، وبين طبيعة أقسام القرآن من كونها مترابطة، والترابطُ اجتماعٌ، فحَسُنَ أن يكثر ورود الواو في القسم؛ للتنبيه على هذا

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

الترابط والتناسب، كما حَسُنَ أن تَرِدَ التاءُ في سياقات التعجب، والباء في السياقات التي فيها مزيدُ توكيد، والله أعلم.

3. 3. المطلب الثالث: تاء القسم

قال أبو حيان في قوله تعالى: ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ عَلِمۡتُم مَّا جِئۡنَا لِنُفۡسِدَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ﴾ [يوسف: 73]:"أَقسَموا بالتاءِ مِن حروفِ القسمِ؛ لأنّها يكون فيها التعجُّبُ غالبًا، كأنّهم عَجِبوا من رَمْيِهم بهذا الأمر" [4: ج16،ص187.] ذكر الشيخ الدلالة السياقية للقسم بالتاء، وهي أن تأتي في سياقات التعجب والاستبعاد، فكأنهم لظهور خصال الأمانة فيهم بما يجعل وصمَهُم بهذه التهمة مستبعدًا استنكروا وتعجبوا من قولهم؛ حيث إن السياق بيَّن شدة استبعادهم لهذا الأمر من جهة أنهم قالوا: (أنتم بأنفسكم تعلمون وتتيقنون أننا ما جئنا لنفسد، وتعلمون أننا ما كنا سارقين، فكيف تتهموننا بهذا؟)، ثم أكدوا ذلك بقولهم: (إن وجدتم ما تريدون فاحكموا علينا بما تحكمون)، فهذا السياق اللغوي يبين مدى استبعادهم للسرقة، وتعجبهم من اتهامهم بها، وفي مثل هذا السياق كان من المناسب جداً استعمال التاء؛ مِن قِبَلِ أنها تدل على القسم والتعجب. ولم أجد من المفسرين السابقين من وقف عند دلالة التاء هنا إلا الزمخشري [28:ج3،ص308].

وقال أبو حيان في قوله تعالى: ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصۡنَٰمَكُم بَعۡدَ أَن تُوَلُّواْ مُدۡبِرِينَ﴾[الأنبياء: 57]: "قرأ الجمهورُ ﴿وَتَٱللَّهِ﴾ بالتاءِ، وقرأ معاذُ بن جبلٍ، وأحمدُ بن حَنْبَلٍ: (وبالله) بالباء بواحدةٍ مِن أسفل، قال الزمخشري [28: ج4، ص151]: فإن قُلتَ: ما الفرقُ بين التاءِ والباء؟ قُلتُ: إنّ الباء هي الأصل، والتاءُ بَدَلٌ من الواو المُبدل منها، وإنّ التاءَ فيها زيادة معنى، وهو التعجُّبُ، كأنه تَعَجَّبَ من تَسهيلِ الكَيْدِ على يده وتَأَتِّيه؛ لأَنّ ذلك كان أمرًا مَقنُوطًا منهُ؛ لِصعوبتِهِ وتعذُّرِهِ. ولعمري إنَّ مِثلَهُ صعبٌ متعذِّرٌ في كُلِّ زمانٍ خُصوصًا في زمنِ نُمْرُوذَ مع عُتُوِّهِ واستكبارِهِ، وقوَّة سلطانه، وتهالكه على نصر دينه ... انتهى"[4:ج19،ص103].

نقل أبو حيان كلامَ الزمخشري مقرًّا به، وفيه تبيين للدلالة السياقية للتاء، وهي القسم، وإفادتها للتعجب، أو أنه قَسَمٌ مختص بسياق التعجب، وفي سياقات التاء يوجد أمرٌ مستبعدُ الحصولِ يقتضي أن تتعجب منه، وبيّن الزمخشري الأمر المستبعد الذي دل عليه السياق هنا من تيسير الكيد بآلهتهم رغم أنها كانت محروسة، ولا يكاد يخلو مكانُها من عُبّادها، مع اعتناء النمرود ذي السلطان بها، ومع ذلك وجد إبراهيم – صلى الله عليه وسلم – الأمر مُيسّرًا له، فحطمها بيمينه. وفي مثل هذا السياق يحسن بقوة استعمال التاء في القسم.

4. الخاتمة:

الحمد لله الكريم الفتاح أولًا وآخرًا، وبعد، فقد انتهى البحث من دراسة الدلالة السياقية لحروف القسم في القرآن الكريم من خلال تفسير البحر المحيط لأبي حيان، مع الاستئناس بأقوال سابقيه ولاحقيه من العلماء الذين أشاروا إلى هذا الموضوع. وفيما يلي يوجز البحث أهم ما توصل إليه من نتائج:

1- ظهر اعتناء أبي حيان في تفسيره بحروف الجر عامة وحروف القسم خاصة، حيث أكثر من الوقوف عند دلالاتها في النص القرآني كاشفاً عن الفروق السياقية فيما بينها.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

2- اختص كل حرف من حروف القسم بما يناسبه من سياق في التعبير القرآني، ولم يناوب بينها مناوبة مطلقة، أما الباء فكانت في السياقات الأكثر توكيداً، وأما الواو ففي السياقات التي فيها التنبيه على الترابط بين أفراد المقسم به، وبين المقسم به والمقسم عليه، وأما التاء ففي سياقات التعجب والاستبعاد.

3- هذا التخصيص مبني على صفات الحرف الصوتية، وهيئة المخرج عند النطق به، ومبني كذلك على استصحاب المعنى الأصيل لكل حرف، الذي يتجلى عند الاطلاع على استعمالاته الأخرى في لغة العرب، مثلما رأينا استصحاب الباء لمعنى الإلصاق، واستصحاب الواو لمعنى الجمع.

CONFLICT OF IN TERESTS
There are no conflicts of interest

5. المصادر والمراجع:

[1] الداية، فايز: علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق دراسة تاريخية تأصيلية نقدية، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، الطبعة الثانية، 1996م.

[2] ابن فارس، أحمد: مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، دمشق، 1399ه- 1979م.

[3] الأصفهاني، الراغب: المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، 1990م.

[4] أبو حيان، أثير الدين الأندلسي: البحر المحيط في تفسير القرآن العظيم، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1436ه- 2015م.

[5] الأزهري، أبو منصور الهروي: تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1422ه- 2001م.

[6] جبل، محمد حسن: المعجم الاشتقاقي المؤصّل لألفاظ القرآن الكريم، مكتبة الآداب، القاهرة، الطبعة الأولى، 1431ه- 2010م.

[7] الجرجاني، الشريف: كتاب التعريفات، ضبطه وصححه: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1403ه- 1983م.

[8] التهانوي، محمد بن علي: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق: علي دحدوح، مكتبة ناشرون، بيروت، الطبعة الأولى، 1417ه- ١٩٩٦م.

[9] الطلحيّ، ردّة الله بن ردّة بن ضيف الله (غيّر اسمه إلى "عبد العزيز" قبل وفاته رحمه الله): دلالة السياق، رسالة دكتوراة بكلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1418هـ- 1997م.

[10] الشهراني، سعد بن محمد: السياق القرآني وأثره في تفسير المدرسة العقلية الحديثة، كرسي القرآن الكريم وعلومه جامعة الملك سعود، الرياض، 1436ه- 2015م.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

[11] العطّار، حسن:حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
[12] ابن القيم، أبو عبد الله شمس الدين: بدائع الفوائد، تحقيق: علي بن محمد العمران، دار عطاءات العلم، الرياض، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الخامسة لدار عطاءات، الأولى لدار ابن حزم، 1440ه- 2019م.
[13] الشاطبي، أبو إسحاق: الموافقات، تحقيق: مشهور آل سلمان، دار ابن عفان، القاهرة، الطبعة الأولى، 1418ه- 1997م.
[14] الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين: البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1376ه- 1957م.
[15] ابن هشام، أبو محمد جمال الدين: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: عبد اللطيف الخطيب، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، الطبعة الأولى، 1421هـ- ٢٠٠٠م.
[16] السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن: الأشباه والنظائر في النحو، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت.
[17] ابن يعيش، أبو البقاء موفق الدين: شرح المفصل للزمخشري، قدم له الدكتور: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1422ه- ٢٠٠١م.
[18] العكبري، أبو البقاء محب الدين: شرح إيضاح أبي علي الفارسي، تحقيق: عبد الرحمن بن عبد الله الحميدي، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، الطبعة الأولى، 1445هـ- 2023م.
[19] ابن عثيمين، محمد بن صالح: تفسير القرآن الكريم سورة الصافات، دار الثريا، الرياض، الطبعة الأولى، 1424ه- 2003م.
[20] ابن جني، أبو الفتح عثمان: سر صناعة الإعراب، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1421ه- 2000م.
[21] العكبري، أبو البقاء موفق الدين: اللباب في علل البناء والإعراب، تحقيق: عبد الإله النبهان، دار الفكر، دمشق، 1415ه- ١٩٩٥م.
[22] السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوقيفية، القاهرة، د.ــت.
[23] ابن جني، أبو الفتح عثمان: الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، دار الفاروق، المنصورة، الطبعة الأولى، 1443ه- ٢٠٢٢م.
[24] ابن القيم، أبو عبد الله شمس الدين: جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على خير الأنام، تحقيق: زائد بن أحمد النشيري، دار عطاءات العلم، الرياض، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الخامسة لدار عطاءات، والأولى لدار ابن حزم، 1440ه- 2019م.
[25] السامرائي، فاضل: معاني النحو، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1428هـ- ٢٠٠٧م.
[26] ابن عثيمين، محمد بن صالح: تفسير جزء عم، دار الثريا، الرياض، الطبعة الثانية، 1423ه- ٢٠٠٢م.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

[27] السعدي، عبد الرحمن: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، 1421هـ- ٢٠٠٠م.

[28] الزمخشري، أبو القاسم جار الله: تفسير الكشاف، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معرض، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى، 1418هـ- ١٩٩٨م.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq